Nady Al-Adab: Jurnal Bahasa Arab

Volume 23 Issue 2 Juli 2026
ISSN Print: 1693-8135 | ISSN Online: 2686-4231
Penerbit: **Departemen Sastra Asia Barat, Fakultas Ilmu Budaya, Universitas Hasanuddin**
Nationally Accredited Journal, Decree No. 200/M/KPT/2020
This Work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

القيم التربوية في شعر إسماعيل بن النجريلة الأندلسي

Nadira Khoirunnisa[1] Daud Lintang[2] Hishomudin Ahmad[3]

[1]Syarif Hidayatullah Islamic State University. e-mail: -nadira.khoirunnisa23@mhs.uinjkt.ac.id
[2]Syarif Hidayatullah Islamic State University. e-mail: daud.lintang@uinjkt.ac.id
[3]Islamic Science University of Malaysia. e-mail: hishomudin@usim.edu.y

الملخص

يحظى البحث في القيم التربوية داخل النصوص الأدبية باهتمام متزايد، لما للأدب من قدرة على توجيه الوعي وبناء السلوك الإنساني من خلال اللغة والصورة. وعلى الرغم من المكانة التي يحتلّها شعر إسماعيل بن النجريلة في التراث الأندلسي، فإنّ الدراسات السابقة انشغلت في الغالب بتحليل الجوانب التاريخية أو الفنية لنتاجه الشعري، دون معالجة البعد التربوي الذي يميّز كثيرًا من قصائده ويمنحها بعدًا إنسانيًا واضحًا. وتنطلق هذه الدراسة من تلك الفجوة البحثية إلى تقديم قراءة تربوية تحليلية تكشف طبيعة هذه القيم وطريقة بنائها داخل النص، وذلك من خلال تحليل القيم التربوية الواردة في شعره، وبيان الأساليب اللغوية والصور الفنية والحكميّة التي اعتمدها في صياغة تلك القيم، إضافة إلى تفسيرها في ضوء نظريات القيم المعاصرة لفهم رؤيته في توجيه السلوك وبناء الوعي الأخلاقي. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي عبر تحليل نماذج شعرية مختارة تُمثّل حضور القيم في تجربته الشعرية. وتكشف النتائج أنّ ابن النجريلة لا يقدّم القيم على نحو مباشر، بل يدمجها في سياق شعري متماسك يعكس خبرته الحياتية وحسّه التربوي، وأنّ قيمًا مثل العمل، والصبر، والحكمة، والتواضع، واحترام الإنسان تظهر في شعره من خلال لغة واضحة وصور دقيقة تُبرز معناها دون تكلّف. كما تشير النتائج إلى أنّ الشاعر يوظّف جمالية التعبير لخدمة غاية تربوية، مقدّمًا نموذجًا للأدب الذي يعلّم بلطف ويؤثّر بعمق. وتخلص الدراسة إلى أنّ شعر ابن النجريلة يمثّل صورة حيّة من الروح الأندلسية التي جمعت بين القيمة والجمال، وأنّ نتاجه قادر على الإسهام في إثراء النقاش المعاصر حول بناء الأخلاق وترسيخ الوعي القيمي.

الكلمات المفتاحية: القيم التربوية، إسماعيل بن النجريلة، الشعر الأندلسي.

Abstract:

This study examines the educational values found in the poetry of Ismāʿīl ibn al-Najjariyla al-Andalusī, one of the prominent Andalusian poets of the fifth century AH, whose works reveal a remarkable blend of artistic sensitivity, human awareness, and moral orientation. The research aims to shed light on the educational dimension present in his poetic production, based on the conviction that literature is not merely an aesthetic medium but also a tool for instilling values and shaping social and spiritual consciousness. The problem underlying this study is that previous research on Ibn al-Najjariyla has often focused on historical, political, or purely artistic aspects, while largely overlooking the depth of his educational message reflected in his poems. Hence, this study seeks to uncover the nature of these values, their pedagogical implications, and the ways in which the poet employed poetic expression to serve noble human and educational purposes.

The study adopts a descriptive-analytical method, relying on selected poetic excerpts that reveal Ibn al-Najjariyla's embodiment of values such as patience, wisdom, respect, piety, benevolence, companionship with the virtuous, humility, and a love of knowledge and work. Through analysis, it becomes evident that these values did not appear in his poetry as direct moral preaching alone; rather, they were artistically integrated into the poetic fabric in a manner that reflects the depth of his personal experience and his educational and social awareness. The findings further demonstrate that the poet viewed poetry as a means of refining conduct and cultivating the virtuous human being, thus embodying the concept of "pedagogical literature," which employs linguistic and intellectual beauty to guide both the individual and society toward ethical excellence.

The study concludes that the poetry of Ismāʿīl ibn al-Najjariyla represents a mirror of the Andalusian spirit, where Arab, Islamic, and Jewish cultural elements interacted within a unified civilizational fabric. His poetic experience stands as a model of positive interaction between literature and education, revealing enduring pedagogical values that remain relevant for shaping the modern individual upon principles of humanity, mutual respect, and sincerity in work and knowledge. Accordingly, examining his poetry from this perspective not only revives the legacy of a relatively overlooked Andalusian poet but also highlights the educational role of Andalusian literature in the development of ethical and humanistic thought.

Keywords: *Educational values; Ismāʿīl ibn al-Najjariyla; Andalusian poetry.*

١. مقدمة

يُعَدُّ الشعرُ العربيُّ من أبرز الوسائط الثقافية التي أسهمت عبر العصور في تشكيل الوعي الإنساني، وبناء المنظومة الأخلاقية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات. ولم يقتصر دور الشعر على التعبير الجمالي أو الترف الفني، بل تجاوزه ليؤدي وظيفةً تربويةً وتوجيهيةً، من خلال ما يتضمّنه من حكمٍ، ومواعظ، وتجارب إنسانية تعكس رؤية الشاعر للحياة والإنسان. وقد احتلّ الشعر الأندلسي مكانةً متميّزة في هذا السياق، لما شهده المجتمع الأندلسي من تفاعل حضاري وثقافي بين مكوّناته العربية والإسلامية واليهودية، الأمر الذي انعكس في نتاجه الأدبي موضوعًا وأسلوبًا ومقصدًا.

وفي إطار هذا التراث المتنوّع، يبرز شعر إسماعيل بن النجريلة الأندلسي بوصفه نموذجًا شعريًا يجمع بين الحسّ الفني والبعد القيمي، إذ تكشف نصوصه عن حضورٍ لافتٍ للقيم التربوية التي تتصل ببناء الإنسان أخلاقيًا واجتماعيًا، مثل الصبر، والحكمة، والإخاء، والعمل، وضبط النفس، واحترام الآخرين. وقد أسهمت تجربته الحياتية، ومكانته السياسية والاجتماعية، في بلورة رؤية شعرية واعية تُسخِّر الجمال اللغوي لخدمة غايات تربوية وإنسانية.

وعلى الرغم من الأهمية الأدبية والتاريخية لشعر إسماعيل بن النجريلة، فإنّ معظم الدراسات السابقة انصرفت إلى تحليل الجوانب التاريخية أو الفنية أو اللغوية لشعره، دون الالتفات الكافي إلى البعد التربوي القيمي الكامن في نصوصه. كما لم تُعالَج آليات توظيفه للصورة الشعرية والأسلوب الحكمي في غرس القيم الأخلاقية، ولا مدى انسجام هذه القيم مع التصورات التربوية الحديثة. ومن هنا تنشأ إشكالية هذا البحث، التي تتمثل في غياب دراسة تربوية تحليلية متخصصة تُبرز القيم التربوية في شعر ابن النجريلة وتكشف عن دورها في توجيه السلوك وبناء الوعي الأخلاقي.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى تقديم قراءة تربوية تحليلية لشعر إسماعيل بن النجريلة، من خلال تحليل أبرز القيم التربوية المتضمّنة في نصوصه الشعرية، والكشف عن الأساليب اللغوية والصور الفنية والحكميّة التي اعتمدها الشاعر في بنائها وترسيخها. كما يهدف البحث إلى إبراز الدور التربوي الذي يضطلع به الشعر الأندلسي في تشكيل الوعي القيمي لدى المتلقي، وبيان قدرته على الإسهام في بناء منظومة أخلاقية تستجيب لحاجات الإنسان في مختلف الأزمنة والسياقات.

٢. منهجية البحث

يعتمد هذا البحث في إجراءاته العلمية على المنهج الوصفي التحليلي التفسيري، وهو المنهج الأنسب لدراسة القيم التربوية في النصوص الأدبية لما يجمعه من خطوات مترابطة تتيح فهم المعنى وتفسيره واستنباط دلالاته. ويقتضي هذا المنهج أولًا وصف الأبيات الشعرية وصفًا دقيقًا من حيث معانيها المباشرة وسياقها العام، ثم تحليلها تحليلاً لغويًا وفنيًا للكشف عن الصور والتراكيب والأساليب التي اعتمدها الشاعر في بناء القيمة داخل النص. ويتبع هذا التحليلَ جانبٌ تفسيري يستند إلى الإطار النظري للقيم التربوية؛ إذ يُعاد من خلاله قراءةُ النصوص في ضوء نظريات شوارنز، وليكونا، وكولبرج، بهدف فهم كيفية حضور القيمة في البيت الشعري وآليات تأثيرها التربوي.

ويمكّن هذا المنهجُ من استنباط القيم التربوية المتضمّنة في شعر إسماعيل بن النجريلة، وبيان انسجامها مع التصورات التربوية، مع المحافظة على الطابع الأدبي للنصوص دون إخلال بجمالياتها. كما يسمح هذا النهج بالجمع بين الدراسة النصية الدقيقة والتفسير القيمي القائم على التحليل، وهو ما يجعل نتائج البحث أكثر عمقًا، ويحقق الغاية من إبراز البعد التربوي في الشعر الأندلسي عمومًا وشعر ابن النجريلة خصوصًا.

٣. نتائج البحث

أ– القيم التربوية في شعر إسماعيل بن النجريلة الأندلسي

١ – تربية الأولاد

تتمتع الأسرة بمكانة محورية ودور أساسي في تربية الأبناء، الأمر الذي ينعكس إيجابًا على بناء المجتمع واستقراره. ومن ثم، ينبغي لكل من الأب والأم أن يحرصا على غرس القيم الأخلاقية في نفوس أبنائهما منذ الصغر؛ لأن شخصية الطفل تتشكل في هذه المرحلة بما يكتسبه من عادات وسلوكيات. فإذا نشأ على الحقد أو الغضب أو الطيش، صعب عليه التخلص من هذه الصفات في مراحل عمره اللاحقة، حتى تغدو أخلاقًا راسخة في شخصيته.

ويزخر الشعر العبري بنماذج عديدة من القصائد التي تتضمن مضامين تربوية وتعليمية، مما يعكس وعي الشعراء بأهمية الرسالة الأخلاقية التي يحملها الأدب. وتمتاز هذه النصوص برقيها الفني، إذ تجمع بين جمال الصياغة وعمق الفكرة، وتعرض المبادئ والقيم والتجارب الإنسانية بأسلوب مؤثر، بما يتيح للقارئ الاستفادة منها واستخلاص ما تتضمنه من حكم ومواعظ وتوجيهات تربوية.

ويعد ديوان إسماعيل بن النغريلة من أبرز النماذج التي تجسد هذا الاتجاه؛ إذ يشتمل على عدد من القصائد التي تزخر بالقيم التربوية والأخلاقية، وتعكس خبراته الحياتية ورؤيته الإصلاحية، ومن ذلك قوله:

اتق خالقك وبارئك في حياتك وفي مالك وفي كل سبلك
اقتن الفهم والحكمة ، لأن البصيرة / جلالك والحكمة زينتك
بجل والدتك وحدث عمك وأقرباؤك / بالحسنى ، واحترم صاحبك
ولتكن محبوباً من كل مخلوق وقبل / أن تكتسب ثروة اكتسب سمعة طيبة في مدينتك
يا يوسف اعط لكل سائل حسب سُؤلَه / وإن لم تعطه فألن له القول
واجعل لكل محتاج نصيباً في مالك / ووقت العطاء تذكر حاجتك
اصنع قوة ولا تعتمد على ما صنعته، لأن صنع القوة يمجدك
واكبر وتفوق على عظمة أبائك / ولا تحتقر من هو أصغر منك شأناً.
وللأخلاق أسباب – أخرى – لم أذكرها/ تحري عنها، وتحدث بها تكن مباركاً
فإن أعادني الرب / فسوف أعلمك وليحفظك الرب من كل شر

لقد اعتمد الشاعر في هذه القصيدة إلى تجسيد العديد من الفضائل والخصال الحميدة، وإبراز معانٍ إنسانية متعددة بطرق وصور متنوعة. كتب هذه القصيدة وهو في ميدان القتال خلال إحدى غزواته، حيث يعترف ضمنياً لابنه بالدافع النفسي الذي دفعه إلى نظمها، معلناً أنه خاض تلك الحروب دفاعاً عنه وعن قومه، وأنه لولا ذلك لما اضطر لأن يخدم الملك أو يخوض المعارك ويعرض نفسه للخطر، وكان بدلاً من ذلك يتجول بحرية مثل شباب جيله. كما يوضح الهدف الرئيسي من خطابه لابنه، حيث يرغب في تعليمه وإرشاده إلى الطريق المستقيم رغم وجوده في ساحات الحرب واحتمالية موته في أي لحظة، وهو ما لم يضعف من عزيمته عمد الشاعر في هذه القصيدة إلى تجسيد جملةٍ من القيم التربوية والخصال الكريمة في إطارٍ فني يجمع بين صدق التجربة وجمال التعبير. وقد نظمها وهو في ميدان القتال أثناء إحدى غزواته، الأمر الذي يكشف عن الباعث النفسي الذي دفعه إلى مخاطبة ابنه؛ إذ أراد أن يبين له أن ما يتحمله من مشقة وما يخوضه من حروب إنما هو دفاع عن أسرته وقومه، لا طلبًا للمجد الشخصي أو حبًّا للقتال. وفي خضم هذه الظروف القاسية، لم تغب عن ذهنه مسؤوليته التربوية تجاه ابنه، فحرص على أن يجعل من رسالته وسيلةً لتوجيهه وإرشاده، إدراكًا منه أن الموت قد يدركه في أي لحظة.

ويكشف هذا الموقف عن شخصية الأب المربي الذي لم تشغله مسؤولياته السياسية والعسكرية عن أداء واجبه في تربية أبنائه، بل ظل يمدهم بخبراته وتجارب حياته، ويغرس في نفوسهم المبادئ التي تعينهم على مواجهة الحياة. ومن ثم، فإن القصيدة لا تمثل مجرد رسالة أبوية، وإنما تعد وثيقةً تربويةً تعكس حرص الشاعر على بناء شخصية ابنه بناءً أخلاقيًا وفكريًا، من خلال توظيف الشعر أداةً للتعليم والتوجيه.

ويستهل الشاعر وصاياه بالتأكيد على قيمة التقوى، باعتبارها أساسًا تبنى عليه سائر الفضائل، فيوصي ابنه بأن يجعلها منهجًا في جميع شؤون حياته، في علاقته بربه، ومع أسرته، وفي تعامله مع الناس، وفي تصرفه في المال وسائر أموره. ويعكس هذا التوجيه إدراك الشاعر أن صلاح السلوك لا يتحقق إلا بسلامة العلاقة مع الله تعالى، وأن التقوى هي الضابط الذي يوجه الإنسان نحو الخير ويزجره عن الشر، وهو ما يتفق مع قول الله تعالى: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾النساء: ١٣١.

ولا يقتصر اهتمام الشاعر على الجانب التعبدي، بل يربط بين التقوى والحكمة، فيحث ابنه على التحلي بالبصيرة وحسن التقدير، والقدرة على فهم المواقف وإدراك عواقبها، حتى يضع كل أمر في موضعه، فيلين حين يكون اللين أصلح، ويشتد حين تقتضي المصلحة الشدة. ويكشف ذلك عن مفهوم تربوي متكامل للحكمة، يجعلها وسيلةً لحسن التدبير واتخاذ القرار السليم، لا مجرد معرفة نظرية.

ثم ينتقل إلى بيان جملة من القيم الاجتماعية التي تقوم عليها العلاقات الإنسانية السليمة، فيوصيه ببر الأم، واحترام الأقارب، وحسن معاملة الأصدقاء، لأن الاحترام المتبادل أساس الألفة والمحبة واستقرار الأسرة والمجتمع. كما يدعوه إلى الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، وإلى تقديم حسن السيرة والسمعة الطيبة على جمع المال، لأن قيمة الإنسان تقاس بأخلاقه وأثره الحسن بين الناس أكثر مما تقاس بما يملك من ثروة. ومن خلال هذه الوصايا يتضح أن الشاعر يهدف إلى إعداد ابنه ليكون فردًا صالحًا قادرًا على تحمل المسؤولية وخدمة مجتمعه.

ويؤكد الشاعر كذلك أهمية التواضع واجتناب السخرية من الآخرين، مبينًا أن التفاضل الحقيقي بين الناس إنما يكون بالأخلاق والعمل الصالح، لا بالمكانة أو النسب. ولذلك يدعو ابنه إلى الاعتزاز بأصله وأسرته دون أن يدفعه ذلك إلى الكبر أو احتقار الآخرين، وهو توجيه ينسجم مع المبادئ الإسلامية الداعية إلى احترام كرامة الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم﴾ الحجرات: ١١

وتختتم القصيدة بالتأكيد على أن اكتساب الفضائل لا يقف عند حدود ما ورد في هذه الوصايا، وإنما يحتاج إلى مواصلة التعلم، وطلب العلم، والاستفادة من تجارب الحياة. ويعد الشاعر ابنه بأنه إذا عاد سالما فسيزيده من العلم والخبرة، ثم يختم رسالته بالدعاء له بالحفظ والتوفيق. ويكشف هذا الختام عن رؤية تربوية عميقة تجعل التعلم عمليةً مستمرة، وتبرز في الوقت نفسه عاطفة الأب وحرصه على مستقبل ابنه.

ومن خلال هذه الوصايا يتبين أن إسماعيل بن النغريلة لم يوظف الشعر للتعبير عن مشاعره الشخصية فحسب، وإنما جعله وسيلةً لبناء الإنسان وغرس القيم الأخلاقية والاجتماعية في نفوس الناشئة. وقد استطاع أن يوازن بين الوظيفة الجمالية للشعر ووظيفته التربوية، فجاءت قصيدته نموذجًا للأدب الذي يجمع بين الإبداع الفني والرسالة الأخلاقية، ويجسد حضور القيم التربوية في الشعر الأندلسي بصورة واضحة ومؤثرة.

٢ – الإخاء والصداقة والتودد

يعد الود والتعاطف من القيم التربوية والاجتماعية التي تسهم في توثيق العلاقات الإنسانية، وتعزيز روح المحبة والتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع. وتقوم الصداقة الحقة على الإخلاص، وتبادل النصح، والصدق في المشورة، والوقوف إلى جانب الصديق في أوقات الشدة، بعيدًا عن المداهنة أو المجاملة التي تفسد العلاقات وتضعف الثقة المتبادلة.

وقد حظيت هذه القيم بمكانة بارزة في الشعر العبري بالأندلس، إذ أكثر الشعراء من تصوير مشاعر الود والإخاء والوفاء، وجعلوها منطلقًا للتعبير عن رؤيتهم للعلاقات الإنسانية وما ينبغي أن تقوم عليه من محبة وإخلاص وتعاون. ويعد شعر إسماعيل بن النغريلة من أبرز النماذج التي تجسد هذه القيم؛ فقد زخرت قصائده بصور متعددة للصداقة والوفاء، معبرًا من خلالها عن قوة الروابط التي جمعته بأصدقائه وأبناء طائفته، ومؤكدًا أهمية المحافظة على هذه الروابط بوصفها أساسًا للاستقرار الاجتماعي والتماسك الإنساني. كما حرص في وصاياه لابنه على غرس هذه القيم، فدعاه إلى اختيار الصديق الصالح، والمحافظة على العلاقات القائمة على الصدق والوفاء، وتقديم العون والمساندة عند الحاجة.

ومن خلال ذلك، يتبين أن مفهوم الصداقة عند ابن النغريلة لا يقتصر على العلاقة الشخصية، بل يتجاوزها إلى قيمة تربوية وأخلاقية تسهم في بناء الفرد، وترسيخ مبادئ التعاون والمسؤولية الاجتماعية. ومن الشواهد التي تعبر عن هذه القيمة قوله:

يا أبا حسن يا صفوة الكرام / ويا سليل رؤساء ورجال ذوي صيت وصالحين
ويا أيها العزيز، الذي عهد حبه / ممتزج بدم قلبي ونفسي
يحرضك كل الذي يقول لك أني / نسيتك، ويتفوه بالأكاذيب
يا صديقي، إن نسيت الأصدقاء / أكن ناسياً للوصايا العشر

وإن تعودت فعل الشر للصديق / فستعاقبني على الذنوب الملائكة (الكروبيم)

حقاً ، ألا أذكر المحبة القديمة / لرجل مثلك يتذكر المحبة

فمحبتك ملتصقة بمحبتي / منذ أيام الصبا كالتصاق المدر

وبمداد من الشحم مدونة / على أحشائي منذ أيام الرضاعة

ولن يستطع الزمان أن يمحو كتابة / مداد شحم من على جدار الأحشاء

رغم أن تلك القصيدة تُعدّ مدحًا لصديق الشاعر، إلا أنها جاءت خالية من أي غرض أو طمع، وهذا يمثل أحد أهداف قصائد المدح التي تبرز أعلى درجات المودة والنقاء بين الأصدقاء. فالشاعر في معظم قصائد المدح يُعبّر عن قيم إنسانية رفيعة، ويُشيد بالفضائل الأخلاقية. وفي مراحل نشأة الشعر الأولى، كانت قصائده تحمل أهدافًا نبيلة تتمثل في الإشادة بالأخلاق الحميدة والمثل العليا لدى الممدوح، مثل الجود والشجاعة والكرم والنبل والمروءة والتضحية. يتناول شعر المدح الصفات الإنسانية العامة التي ينبغي للإنسان أن يتحلى بها، فيصل إلى آفاق إنسانية واسعة. وتحت ظله، أصبح للشعر دور روحي واجتماعي هام، إذ تصدى لقضايا المجتمع وعالج مشكلاته، وساهم في التربية الأخلاقية بشكل فعال.

أدرك الشاعر في هذا المقام أهمية نظم قصيدة ليمدح صديقه، معبراً فيها عن مودة وحب وشوق عميقين لملاقاته، ومؤكداً له أنه مهما طال البعد فلن ينساه أبداً، وأن من يدعي نسيانه فهو كاذب. فالشاعر هنا لا يتملّق صديقه من أجل مكاسب أو مقابل مادي، كما هو شائع في كثير من قصائد المدح، إذ يُغنيه منصبه ومكانته عن ذلك. لذا، يمكن القول إن هذه القصيدة وليدة مشاعر صادقة حقيقية، نُطْقَتْ طلبًا لرضا صديقه ووده. وفي الوقت ذاته، حرص الشاعر على توضيح قيمة الفعل الخير، محذرا من أن ارتكاب الشرّ يُعرّض لعقاب الملائكة الإلهيين. فالصداقة لا تُقاس بما يُقال، بل بما يتحلّون به من صفات النبل والإخلاص والوفاء، وهي صفات تتوافر لدى الأصدقاء الأوفياء الذين يتألقون في عالم الصداقة كتألق اللآلئ. وعلى الأصدقاء الحفاظ على وسم المحبة وتعزيزها بينهم. فلا يستطيع أحد أن يعيش منفردًا دون معونة أو مساعدة، إذ يحتاج كل إنسان إلى الآخر.

بعد ذلك، وظف الشاعر الخيال ليتمم الواقع ويُحسِنَهُ ، بتأكيده لصديقه أنّ محبّته ملتصقة به ثابتة كالشحوم على الأحشاء منذ أيَّامِ الرِّضَاعِ من لبَنِ أُمِّهِ. وهذا أسلوب بليغ يُشبه محبّة الصديق في القلب بالصمغ اللاتِصِيقِ، أَوْ بِالدُّهُونِ الْمُتَلَازِمَةِ على جدار الأحشاء.

٣- المواساة والصبر على الشدائد

تحتاج النفس الإنسانية دائماً إلى المواساة والعطف، وإلى من يخفف عنها الأحزان ويمنحها العزاء. وتنتمي قصائد المواساة والصبر على الشدائد إلى فئة قصائد العزاء، لا سيما تلك التي تتناول نائبة الموت، حيث تُعتبر جزءاً من أنواع شعر الرثاء. وعرف العرب الرثاء بأشكاله المتنوعة منذ العصر الجاهلي، وكانت هذه القصائد تهدف إلى بث الطمأنينة والسكينة في نفوس من يتلقاها، فهي تعزية للقلوب الحزينة على فقدان أحبائهم، وتتضمن دعوة للرضا بالقضاء والقدر من خلال التأمل في حقيقة الحياة والموت. وقد اقتفى إسماعيل بن النجريلة أثر الشعر العربي في هذا المجال، فرثى ابنته من خلال مواساته لنفسه ولولده، فأرسل إليه من ميدان الحرب هذه القصيدة تعزية له ونصيحة بالرضا بما كتبه الله له، قائلاً:

انزع من على رأسي العمائم والأوشحة / ومزق حللي (لعدة) أذرع وأشبار
وحطم أدوات الغناء والجيتار والدف ، واسفك / مياه أغصان (العنب) اليابسة واللينة
وامح البهجة من قلبي ، وقم واكتب / كتاب تحريم المباهج والأفراح
وصح ونادي) : آه لأن يوسف جالس في / بيت حزن على ميته، وصائحاً ، آه يا أختاه
ممتلئ حزناً لفراقها ومغتماً لوفاتها / يوم أن أخذت من بين صبيات مدللات
انسحق ، وانسحق قلب جواري / وبكت أمهات ، وبكت عين جواري وقبائل
احترق من الحزن قلبه، ولم يجرب منذ ذلك الحين اللهيب المضرم في القلوب
وإذا أبيت أنت العزاء ، وترفع صوتاً / في الشارع وفي المنزل بصياح وبصراخ
فإنتبه لقولي ، وخذ من فمي / كلام فصيح "، فمثلي يتحدث ببلاغة
افهم وتمعن خطاباً كتبته لك / من ميدان معركة مملوءاً شجاراً وعنفاً
وخطاباً عن انقضاض قادة على قادة بغضب / ورؤساء على رؤساء، ونواب على حكام
أكثروا من جنودهم وصقلوا رماحهم / صوبوا سهامهم إلى القلوب والأهداف
ولذلك إهتم واطلب فداء لي وخلاصاً من / خالقك بأيدى متضرعه بإيمان
كانوا في حربهم كنيران مذكاة / ماثلوا في غضبهم قدوراً تغلى واطلب بقلب طاهر ،
وناجي الرب القدير / مناجاة كأعمدة دخان معطرة
فيفتح لي الرب منافذ النجاة / لأن في يده منافذ ومفاتيح لكل باب مغلق
يزول الحزن على الأموات وينتهي، والحزن على موت الأخوة في القلب مغروس
وموضوع إلى الأبد يتذكر الإنسان موت الأخ للأبد ، وسائر / منايا أقارب الإنسان تنسى بمرور الأيام
ها هي كل أيام الإنسان قصيرة ، وجسده / تراب، والرب مسيطر على الأجساد والأنفس

تفيض القصيدة بمشاعر صادقة نابعة من قلب أب فقد فلذة كبده، واشتعل قلبه بألم الفراق وهي في ريعان شبابها. ورغم ذلك، يتحلى بالصبر والثبات، فهو يقف في ميدان المعركة حيث الموت يحاصر الجميع من كل جانب، ويأخذ أرواح الجنود في أي لحظة يشاء. وهذه الحقيقة تمنحه عبرة ويقيناً بأن مصير كل إنسان أن يذوق الموت، فهو أمر محتوم ومكتوب على كل نفس. فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [سورة العنكبوت: ٥٧].

يبدأ الشاعر قصيدته باستخدام أسلوب من أساليب البلاغة وهو أسلوب الأمر الذي كان يعتاد عليه خاصة حين يرغب في توجيه النصيحة لولده، لكنه في هذه الحالة وجه الأمر إلى نفسه فقد أمر نفسه بنزع العمامة أو الوشاح عن رأسه، كناية عن الحزن والأسى. ويُذكر أن هذا التصرف ورد في العهد القديم حين غضب الرب على رئيس إسرائيل بسبب ارتكابه للذنوب والشر، فطلب منه نزع تاجه رمزاً لغضبه وحزنه على شعبه، وعاقبهم بحرمانهم من كل مظاهر الإنسانية كالثياب والزينة. كما كانت هناك عادات شائعة عند

وفاة شخص عزيز تتضمن تمزيق الملابس ولطم الخدود وشق الثياب، وحرمان النفس من ملذات الحياة مثل الشراب والطعام، ومن كافة مظاهر الفرح والسرور، تعبيراً عن الحزن والأسى.

يوضح الشاعر حزنه العميق ليس فقط لفقدان ابنته، بل أيضاً الحزن يوسف الشديد عليها، حيث لا يزال يبكيها وينوح عليها. وبسبب شدة المصاب الذي ألم به يرفض يوسف التعازي والمواساة من الآخرين. لذلك، كتب إليه الشاعر هذه الرسالة ليوجه مشاعره وانفعالاته توجيهاً أخلاقياً يضبط به سلوكه ويعلمه ويرشده حريصاً على أن تحمل هذه الرسالة عبرة وعظة كما هو معتاد في قصائد الرثاء ومن خلال بعض أبيات القصيدة، يخاطب الناس بالعظة، معلناً أن كل إنسان مهما طال عمره، فإن اليوم الذي يتذوق فيه كأس الموت قد قدره الله له منذ ولادته.

كما ينبه ولده إلى وجوب القلق والخوف عليه، لأنه في وسط ميدان المعركة حيث الموت يحصد النفوس كل يوم، ويحثه على الدعاء له بالنجاة والخلاص والخروج سالماً معافى. يرى الشاعر أن شبح الموت يحيط به في كل مكان، لذا يجب أن يلجأ إلى الله بالدعاء والتمسك بالصبر. فالصبر هو السبيل لتحمل النفس المشاق والابتلاءات دون جزع، وهو ركن أساسي من قيم كثيرة كالحنان والوفاء والشجاعة وغيرها، ولا يمكن غرسها إلا بالصبر. وقد بشر الله تعالى الصابرين بقوله : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [سورة البقرة (٢): ١٥٥].

ب- وسائل غرس القيم التربوية

تختلف الوسائل المتبعة في ترسيخ هذه القيم، فهي لا تقتصر على أسلوب واحد فحسب، بل تتعدد الطرق التي يكتسب من خلالها الفرد هذه القيم. ومن بين هذه الطرق، على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

١- الأسلوب القصصي الشعري للأحداث الجارية

القصص الشعرية تُعد وسيلة فعالة في تنمية القيم التربوية والاجتماعية، حيث تمزج بين الأحداث والحوار والشخصيات، ويتم استنباط العبرة من تجربة القاص. يتخذ الشباب شخصيات هذه القصص قدوة يُحتذى بها، ويستخرجون منها المثل العليا والقيم التربوية المتنوعة. وتحتل القصة مكانةً متميزة لدى الناشئة الذين يميلون إليها ويستمتعون بها سواء كانت مقروءة أو مسموعة، إذ يتفاعلون مع شخصياتها وأحداثها، مما يفتح أمامهم آفاق الخيال ويؤثر في مخيلتهم، وينعكس ذلك على سلوكهم وتصرفاتهم. لذلك، فإن الأسلوب القصصي في الشعر يسهم في نمو الشخصية وتطويرها، ويُعزز من انفتاحها ونضوجها. ومن هنا، تعد تجارب الآخرين المقدمة عبر القصص غذاءً يثري فهم الفرد، ويعرفه على أشياء كثيرة وأشخاص عاشوا في أزمان وأماكن مختلفة عن زمانه ومكانه، مما يوسع خبراته ويربطه بعلاقات واسعة مع أحداث ومواقف وأزمنة وأماكن متعددة.

يشعل الأسلوب القصصي في نفس القارئ والمستمع موهبة التخيل، ويزوده بعنصر الإثارة الذي يجذب انتباهه ويحثه على متابعة القراءة أو الاستماع بشغف وحماس حتى الوصول إلى النهاية. ولهذا السبب يُعدّ الأسلوب القصصي من أفضل الوسائل لتقديم القيم التربوية بمختلف أنواعها، إلى جانب المعلومات العامة والتوجيهات السلوكية التي نرغب في إيصالها لأبنائنا. وبفضل تأثيره العميق على النفس الإنسانية، فإن القصص تثير في القارئ والمتلقي رغبة في المعرفة والتأمل، مما يجعلهم يحرصون على الاستماع إليها وفهمها

بتمعن واهتمام. لذلك، يحرص الشاعر على استخدام الأسلوب القصصي لما يحمله من سرد أحداث ومواقف وشخصيات يمكن أن تصبح قدوة يحتذي بها، إضافة إلى ما يحتويه من إرشاد وتعليم وهداية.

وعند تطبيق هذا على الشعر، نجد أنه مليء بالمواقف والأحداث الشيقة التي نستخلص منها العديد من القيم التربوية المفيدة. ومن ذلك، قصائد إسماعيل بن النجريلة التي نظمها بأسلوب القص الشعري، ومنها على سبيل المثال قصيدة كتبها عندما أصيب ولده يهوسف بمرض الجدري في يوليو عام ١٠٤٤م، وعندما تعافى أرسل لوالده ليبشره بشفائه، فرد عليه إسماعيل بتلك الأبيات قائلاً:

أحزان القلب كسهام حادة / ولم تكن كذلك من قبل في قلبي
وهأنذا لم تحدث لي مشقة) من قبل) / فلماذا يصيبني حزن كهذا في قلبي)؟
أتصور أن يوسف حبيبي / على قلبي كما الخراج الشديد (هو سبب حزني)
لأن القلوب تشعر بكل ما / يحدث للحبيب في البعد
ويتألم (قلبه) مثلي ثمانية أيام فكيف نتحمل وكيف نعاني الآلام ؟
وليس لنا أجساد كما النحاس / وليست لنا قوة كقوة الأحجار
وفي اليوم التاسع قال لي الناس / إن يوسف مريض ، وممتلئ بالبثور
وعجز عن تحمل الجدري في كل الجسد / والوجه مع نار (حمى) في العظام
وأنه يؤدب (يتألم) بهذا الألم ثمانية أيام / أثقل (أقسى) من ثمانين يوم شر
ورؤوس كل من حضروا لزيارته / (أصبحت) منبعاً للدموع وعيونهم كما الجداول
لكنهم قالوا : لقد انخفضت حرارته / وزالت حمته وسكنت الآلام
وطفحت بثور مرضه، وخرجت / منتشرة بيضاء على جلده

لا شك أن الأسلوب القصصي يعد من الوسائل الفعالة التي استغلها الشاعر للوصول إلى عقل المستمع والقارئ ومشاعرهما، بهدف جعلهما يستوعبان ويؤمنان بالأفكار والمعاني والقيم التربوية التي يرغب الشاعر في إيصالها. وقد اعتمد الشاعر هذا الأسلوب في تصوير وتلقين تلك القيم، من خلال عرض مرض ولده والتجربة التي مر بها كموقف يُحتذى به من قبل ولده أو من يقرأ أو يسمع القصيدة، بحيث يستخلص الدروس والعبر من هذه التجربة، لا سيما الصبر على الابتلاءات المرضية، مع التأكيد على قدرة الله العظيمة.

يعبر الشاعر هنا عن واقع من حقائق الحياة بصورة شعرية فنية تجسد المشاعر المتنوعة التي يشعر بها الإنسان بشكل عام، وهو نفسه بشكل خاص، تجاه تجربة المرض. كما يوضح كيف تقبل قضاء الله بإيمان راسخ عندما أصيب ولده بالمرض. وتؤثر الأحداث التي تعبر عنها القصيدة في شخصية الشاعر، لذلك أراد تسجيل حالة ولده المرضية ليشعره بتميزه بنعمة الشفاء التي من

الله بها عليه. وفي سياق القصيدة يصف الشاعر بدقة الألم الذي عانى منه ولده، ثم يشكر الله على منحه الشفاء، ويحث ولده على شكر الله والاعتراف بفضله عليه.

يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة يعبر فيها عن حزنه العميق وألمه الشديد لما أصاب ولده، مشيراً إلى أن مرض ابنه كان سبباً في كآبته وحزنه، إذ يشعر بما يعانيه ولده من ألم في قلبه، فيتألم معه. ثم يصف حالة المرض التي أصابت ولده، حيث ظهرت عليه حمى شديدة ترافقها بثور بيضاء على جسده في اليوم التاسع. يتساءل الشاعر عما إذا كان ولده قادراً على تحمل هذا الألم الشديد، مؤكداً أن جسد الإنسان ليس قويا وصلبًا كالجماد كي يتحمل مثل هذه الآلام في تعبير عن حدة الحزن والأسى الذي يعيشه. يستمر في وصف معاناة ولده من الحمى، ويفسر أن من كانوا يزورونه كانوا يبكون عليه، لكنهم بعد فترة أرسلوا إليه أخباراً بأن الحمى قد خفت وبدأت البثور تنتشر على الجلد . ويعبر الشاعر عن قلقه الأبوي وحرصه على حماية ولده، موضحاً كيف أن خوفه عليه جعله لا يغمض له جفن، ولا يعرف راحة بال، رغم وجوده في ميدان المعركة ومسؤولياته القيادية. كان يتمنى لو أنه بجواره ليهتم به ويحميه من كل مكروه. وعندما تلقى رسالة منه تفيد بشفائه، امتلأ فرحاً وسروراً، فرفع التسابيح والشكر الله اعترافاً بفضله ونعمه، وشعر بالطمأنينة والسرور بعدما كان في حزن وهم . في هذا السياق، يسعى الشاعر إلى بناء شخصية ولده من خلال تمكينه من التكيف مع المصاعب التي قد تواجهه، سواء كانت مرضاً أو تحديات أخرى، ليمنحه شعوراً بالأمان يمكنه من مواجهة نفسه وما يمر به من محن وأزمات.

بعد ذلك، يعرض الشاعر جانباً من بعض العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج في مجتمعهم، معبراً عن أمانيه في أن يفرح يوسف بعروسه. ويشير إلى تقديم الحلي والمجوهرات كمهراً للعروس، وهي عادة متبعة بين يهود الأندلس، حيث يفضلون تقديم الحلي والمجوهرات بدلاً من النقود، حفاظاً على شرف وكرامة العروس العذراء في المقابل، كان المستعربون يقدمون النقود كمهر للعروس. كما يذكر الشاعر عادة أخرى من عادات الزواج لديهم، وهي الوقوف تحت الظلة مع العروس، وهو أحد مظاهر الاحتفال بالزفاف، حيث يقف العروسان معاً تحت الظلة في مواجهة بعضهما البعض، مرتديين الملابس البيضاء المطرزة، بينما يرنم المدعوون حولهما بعض الصلوات والدعوات لنجاح الزواج وبركته.

يواصل الشاعر توجيه بعض النصائح لولده من أجل الشفاء والتعافي التام، مؤكداً عليه ضرورة الالتزام بتعليمات الطبيب وعدم التهاون فيها. ويوضح أن التعافي لا يعني تناول ما يشاء من الطعام، بل يجب أن يقتصر على ما يوصي به الطبيب، خاصة وأنه لا يزال في فترة النقاهة، فلا ينبغي له الانصياع لما يقوله الآخرون ويحثه الشاعر على استغلال أوقات الراحة في القراءة وكتابة بعض الأمور، لأن ذلك سيساعده في تفسير ما قد يكون غامضاً بالنسبة لمن هم أقل منه علماً.

يدرك الشاعر هنا قيمة القراءة ويشجع ولده عليها، معتبرا إياها غذاءً للروح وأفضل نشاط يشغل به وقت فراغه، مما يعود عليه بالنفع عاجلاً أم آجلاً. ويصف الكتاب بأنه أفضل رفيق، إذ يقدم التسلية بالحكايات ومواعظ تنير العقل، فهو يجمع بين القديم والحديث، بين الماضي والحاضر. يشبهه الشاعر بالكتاب الميت الذي ينطق عن الأموات، والمترجم عن الأحياء، والأنيس الذي ينشط مع نشاطك، لا يعرف التعب أو الملل، ولا يوجد رفيق أطيع أو معلم أجمع منه فهو الجليس الذي لا يقاطعك ولا

ينقطع عنك بالفائدة، حتى وإن كنت بعيداً عنه هو الرفيق في الوحدة، والصاحب في الغربة، والمصباح في الظلام، واللذة في الخلوة فهو يعطي دون أن يأخذ، ويفيد دون أن يستفيد".

٢ – أسلوب الممارسة والقدوة الحسنة

يعتبر أسلوب القدوة الحسنة من الوسائل الأساسية في التربية والتوجيه الأخلاقي، لما له من تأثير بالغ في بناء شخصية الفرد. ومن الضروري أن يتطابق سلوك المقتدي مع أفعاله وأخلاقه، فالأب المربي الذي يتحلى بالأخلاق الحميدة ويعمل صالحاً ويتمتع بالعلم النافع، سينشأ ابنه على نفس القيم والصفات التي وجدها لدى والده. لذا، يجب على المربي استثمار هذا الأسلوب في حث الشباب على التحلي بالقيم التربوية، وغرس هذه الأخلاق الفاضلة في نفوس أبنائهم، مع تحذيرهم من مخاطر الاقتداء بالأخلاق السيئة. فالمربي، سواء كان أباً أو معلماً أو عالماً فاضلاً، يكون المثل الأعلى" في نظر الولد الذي يقلده في سلوكه ويحاكيه في أخلاقه، سواء كان ذلك بوعي منه أو دون وعي، حيث تنطبع في نفسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية بشكل عميق.

يحرص المربي على التوجيه المستمر والدائم لولده، سواء من خلال نصحه عند التعامل مع الآخرين، أو ملاحظته لطرق اللباس، أو حديثه معه مع التركيز على التربية الدينية التي تشكل الأساس الذي يبنى عليه نموه وتطوره. كما يوصي ولده ويحثه دائماً على طلب العلم والسعي إليه. فالقدوة الصالحة تمتلك تأثيراً قوياً في الإقناع والتوجيه. وبذلك، فإن وجود الأب والأم الصالحين اللذين يراعون ويوجهون ويرعون التربية بشكل جيد، يؤدي إلى نشأة أطفال نافعين لأنفسهم وأمتهم، ومطيعين لربهم.

وقد تميز الشعر العبري بغزارة هذا النوع من القصائد التي يجعل فيها الشعراء أنفسهم قدوة يُحتذى بها، حيث يحثون على مصاحبة أصدقاء الخير، ويبرزون أهمية الصحبة وتأثيرها الكبير في اكتساب القيم الأخلاقية. كما حرص إسماعيل بن النجريلة على توضيح أهمية اختيار الصديق الصالح والابتعاد عن رفقاء السوء، مظهراً كيف أنه يتبع هذا النهج في حياته. ومن ذلك القصيدة التي نظمها في وصف الإخوان وما يجب أن يتحلى به الصديق، والتي يقول فيها:

قلبي داخل جوفي مدينة مغلقة / بداخلها محبة أصدقائي محفوظة
و (لكن) لا أساوي في قلبي بين أصدقائي / ولا أساوي بين أصدقائي في الصداقة
ويوجد منهم من هو مثل يدي اليمنى / ويوجد منهم من يشبه الإصبع الزائد
ويوجد من يمنحني بفمه بركات / ويحفظ لي في قلبه اللعنة
ولي عين لا تنام ولي قلب / شبكتهما ملقاة على كل سر
فيكشفان أفكارهم المختفية لأصدقائي / ويعلمونني وعلمهم مستقيم (عادل)
فيقولان لي : مَن يحفظ عهدك / ضع عهده داخل قلبك محفوظاً
وورث هذا من محبتك كما البنت / بين الأبناء ، وذاك (ورثه) نصيب البكر
أما هذا الذي يمجدك بفمه بلا فؤاد / قل له مثل ما يقول عشرة أضعاف

افتتح الشاعر قصيدته بتوضيح ما يختبره مع أصدقائه، مشيراً إلى أن محبتهم محفوظة في أعماق قلبه، لكنه لا يساوي بينهم في المحبة. فهناك أصدقاء تجمعه بهم صداقات حميمة، وهم الصديق الحقيقي النافع والناصح، وهناك آخرون علاقته بهم سطحية لأنه يدرك أنهم بلا فائدة، ويعتبرهم حمقى، لكن الواقع يكشف أنهم هم الحمقى، فلا خير أو منفعة في صحبتهم. يشدد الشاعر على ضرورة أن يكون الصديق حسن الخلق وعاقلاً، لا تغلبه شهواته، فلا يغضب بسرعة أو ينفعل، وألا يكون فاسقاً لأنه لا يخاف الله ولا يحترم جانبه، وألا يغتاب صديقه من وراء ظهره. ويحذر ولده من مرافقة رفاق السوء لأن تأثيرهم لا محالة سيصيبه.

يقول الشاعر : صلاح الأخلاق يكمن في معاشرة الكرام ومخالطة أهل الخير، وفسادها ينجم عن مخالطة اللئام، وقد قيل: كن وسطاً وامش جانباً"، أي خالط الناس ووازن بينهم. كما استغل الشاعر هذه الفرصة ليهذب ولده وينهاه عن بعض الرذائل التي لاحظها في الآخرين، مستخدماً الأدب في تصوير أفكاره ونقلها لولده، ليعينه ويعين من يقرأها على فهم الحياة، ويوجه نفوسهم نحو الأهداف الإنسانية النبيلة.

وقد حرص الشاعر على ذكر بعض الصفات السيئة مثل عدم الوفاء والنميمة والحماقة، والسخرية، وغيرها من الأخلاق السيئة التي يتحلى بها الأصدقاء عديمي الفائدة، فبين نقائصهم وما يعانونه من سوء الخلق، مقابل ذكر الفضائل والمحاسن التي يفتقدونها. وهذا يدل على صدق التصوير الأدبي الذي يعرض آفات المجتمع ويبرز عيوبها، ثم يشجع على التحلي بالأخلاق الحسنة. فمرافقة الأخيار والابتعاد عن الأشرار من القيم الأخلاقية التي تثمر اكتساب الفضائل، إذ إن مجالسة الإنسان لفرد صالح في دينه وأخلاقه تجعله يكتسب منه كل خلق حسن وصفة فاضلة.

لذا يجب على الفرد أن يختار أصدقائه بعناية فالصديق المخلص الوفي يتمتع بسعة العلم والحلم، ويكون طيب الأخلاق، سري الأسرار، كثير البر أمين على الأمانة، بعيد عن الخيانة، كريم النفس حاد الذكاء، صادق الحدس، مضمون العون، كامل الحماية، وشهير بالوفاء.

ويوصي الشاعر ولده بأن يمنح الصديق الصادق والوفي كامل محبته وإرثه أما الصديق غير الوفي فلا يولي له أي اهتمام ولا يمنحه شيئاً من محبته. وعلى الرغم من أن موضوع هذه القصيدة هو الصداقة والأصدقاء، إلا أن الشاعر لم يغفل أن يضيف إليها بعض معتقداتهم، مؤكداً بذلك هويته اليهودية. ففي هذه القصيدة، يؤكد على حق الابن البكر في الميراث، حيث تولي الشريعة اليهودية أهمية كبيرة للابن الأكبر، إذ كان يتمتع بكل المزايا ويُعتبر خليفة والده في كل شيء. فهو يستولي على السلطة من بعده ويتصرف في جميع ممتلكاته، وغالباً ما كانت تنشب صراعات ومنافسات بين الإخوة الصغار وأخيهم الأكبر بسبب هذا الحق الممنوح له.

ثم يختتم الشاعر قصيدته بالتفاخر بنفسه ومدحها، ليحفز ولده على الاقتداء به والسعي لأن يُقال عنه مثل ما قيل عن جده، فيبذل جهده للوصول إلى تلك المكانة. فهكذا تكون القدوة الحسنة، التي تقوم على تطابق القول مع الفعل، إذ يجب أن يكون المقتدي به ذو سلوك سليم وقويم وصالح، ليكون قدوة يُحتذى بها. فإذا تعارضت أفعاله مع أقواله، فلن يُحتذى به، ولن تجد وعظه ونصيحته صدى في النفوس. أما إذا كان فعله موافقاً لقوله، فإن موعظته ونصيحته تغرس في القلوب مكانها الصحيح. وهكذا

اختار الشاعر الموضوع والوقت المناسبين لتقديم النصيحة وتعليم ولده كيفية الاقتداء به مستفيداً من درايته بمشاعر ولده وحالته النفسية.

٣- استخدام أسلوب الوعظ والنصح والإرشاد :

فبواسطة الوعظ والنصح ترتفع أخلاق الفرد والجماعة على حد سواء، مما يؤدي إلى تحقيق السعادة للجميع. إذ يتمتع الوعظ الحسن بتأثير عاطفي قوي على النفس الإنسانية، إذ يخترق القلب بسرعة ويصل إلى الوجدان، مما يسيطر على المشاعر ويؤثر فيها. وقد استغل شعراء العرب هذا الأسلوب بشكل واسع، إدراكاً منهم لأهمية الوعظ والنصح في تنمية عقول الناشئين وتغذية مشاعرهم بالقيم الأخلاقية. فالوعظ المؤثر يطهر النفس ويزكيها، مما يساهم في تعديل السلوك وغرس القيم المرغوبة في الفرد. وقد ورد ذكر الوعظ في القرآن الكريم في قوله تعالى : {ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [سورة النحل (١٦): ١٢٥].

في هذا السياق، تُدعى إلى استخدام أسلوب الوعظ والنصح بطريقة تلين لها القلوب وتؤثر فيها، بحيث يتقبلها الإنسان برضاء ويعمل بها دون نفور أو رفض. ومع ذلك، فإن أسلوب الوعظ وحده قد لا يكون كافياً في بعض الأحيان، بل يجب أن يدمج مع أسلوب القدوة الحسنة ليترك أثراً عميقاً في النفس، ويحقق الهدف المنشود من توجيه الإنسان إلى الخير والابتعاد عن الشر. من خلال الوعظ والإرشاد، يسعى الشاعر إلى غرس الفضائل والأخلاق الحسنة في ولده، ويوجهه نفسياً وروحياً وفكرياً للاستماع إلى نصائحه والعمل بها برغبة وحماس. وقد اتبع إسماعيل بن النجريلة في ذلك نهج الشعر العربي التقليدي، ومثال ذلك قصيدته التي تعد وصية أخلاقية من الأب لابنه. ففي العنوان قال يوسف إن لوالده شعراً يسمى بالعربية "الأرجوزة"، وهو نوع من الشعر المقفى الذي يتسم بوجود قافية في نهايته، وهو ما يعرف في لغتنا بالشعر المقفى. وقد كتب إسماعيل بن النجريلة هذه الوصايا على هيئة شعر أضافه في نهاية رسالته، حيث يقول فيها:

اعلم يا بني أن الرب الذي خلقك مهاب / لهذا خاف إياه واحفظ شرائعه
ولتكن هناك مراقبة في كل عمل / من قلبك على قلبك
حل قيود الشر منك / واغرس بدلاً منه الصلاح، واستأصل الظلم
اجتث ثروة الغش من مسكنك / لأنه قد طعن ناساً فيما مضى
لا تخفى في الحجرات اثمك / لأنه لا مهرب للإنسان من عين الرب
اعترف وتب عن اثمك للرب وللخالق لأن التائب والمعترف بإثمه محبوب للرب
اطلب الحقيقة واطمح للعدل / لأن الحقيقة حياة والعدل نورها
العن شهوة قلبك وغضبك / وانظر للمسكين ، وعاون الفقير
واسي الحزاني واحفظ الأمانة / واصنع المعروف وتمنطق بالتواضع
شايع الأموات وابك، وزر المرضى / واحزن بنفس مريرة على البائسين
واقرأ يومياً أقوال التوراة / وابحث في تلمودها وافهم المقرا

تحتوي القصيدة على مجموعة من القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تسهم في بناء شخصية متكاملة للفرد، مما يجعله متجانساً ومتفاعلاً بشكل إيجابي مع أفراد المجتمع، وبالتالي يساهم في تميز المجتمع ككل. هذه القيم ثابتة لا تتأثر بتغير المجتمعات أو الأعراف أو التوجيهات السياسية أو الاقتصادية، فهي قيم خالدة لا تتبدل مع مرور الزمن.

في مستهل القصيدة، يولي الشاعر اهتماماً كبيراً للتربية الدينية باعتبارها الأساس الذي يُبنى عليه نمو الإنسان وتكوينه، مع توصية الابن وحثه الدائم على طلب العلم والسعي إليه. فقد أراد الشاعر أن يوضح لولده كيف يصبح إنساناً صالحاً من خلال مراقبة كل فعل يصدر عنه بقلبه باعتبار القلب مركز تلك الأفعال. فالعمل على تطهير القلب من الشوائب الدنيوية التي قد تعلق به هو السبيل الأقرب للإنسان ليقترب من الله تعالى.

ثم يستمر الشاعر في تقديم وصاياه لولده، مشدداً على ضرورة التطهر والتوبة، حيث تعتبر محاسبة النفس أول وسيلة للتوبة، إضافة إلى الخوف من العقاب وطلب المغفرة والصفح فالتوبة تعني العودة إلى الله وطاعته بعد المعصية، وهي الأساس الذي ينطلق منه السالكون في طريق التصوف، إذ تُعد أول منزلة من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين. وفي اللغة، تعني التوبة الرجوع، حيث يُقال : تاب أي رجع والتوبة هي الرجوع عن ما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود.

٤- أسلوب الأمر المباشر:

استخدم الشاعر أسلوب الأمر المباشر في مستهل قصيدته ليؤكد لولده أنه بعد أن مر بهذه التجربة وخاضها بنفسه، ينبغي عليه أن يشكر الله على نعمه في كل وقت وكل لحظة. وذكر يوسف في عنوان القصيدة أن والده أرسل إليه هذا الخطاب بعد عيد المظال في سبتمبر عام ١٠٤٦م، حين كان الشاعر في إحدى غزواته. وبعد مقدمة يعبر فيها الشاعر عن حزنه وألمه لفراقه ولده يوسف وأهله في أيام الأعياد والراحة، حيث كتب عليه التنقل والابتعاد عن مكان السكن والأسرة في تلك المناسبات التي تحتفل فيها كل أسرة وتفرح بلقاء أفرادها. ثم ينتقل الشاعر إلى غرضه الأساسي وهو حث ولده على مرافقة الأخيار والتعلم منهم والاستفادة من علمهم الواسع، فيوجه إليه النصيحة بأسلوب الأمر المباشر قائلاً:

يا يوسف فلتعر أذنا صاغية لقولي / ومن كل شر تكن أذنك صماء
وليكن حديثي موضوعاً أمامك / ليكن تأديبي لك مغروساً في قلبك
واصغ لكلماتي المنظومة / (التي هي) كما النعاج المثمرة وليست ثاكلة
اذهب صباحاً ومساءً إلى بيت خالقك / للصلاة واعبده برهبة (بخشوع)
وابتعد عن الشر إن صغر او عَظُم للأبد / وعن الخطيئة سواء كانت صغيرة أو كبيرة
ولا تسلك مسالك معوجة وطريقاً / غير ممهد خوفاً من الخالق
طهر قلبك (بفعل الخير) بالخير ولتكن / نفسك مصدودة عن الشر وعن فم الأجنبيات (٦٦)
وتمعن في كتابك المقدس وتوراتك / واستفسر عن كل ما هو غامض عليك
ورد إحسان الصديقين الذين / يحضرون لبيتك حباً لي ولك
واخدمهم واهتم بكثرة / توقيرهم بقدر ما تستطيع يدك

وخذ منهم المعرفة لأنه لا يوجد / من يوجه لهم ولشرائعهم تهمة (لا يوجد بهم عيب)

في مطلع الأبيات السابقة، يطلب الشاعر من ولده أن يولي كلماته اهتماماً خاصاً، ويصغي إليها جيداً، لأن ما سيذكره له أهمية كبيرة ويجب أن يضعه نصب عينيه ويعمل به من أولى هذه الوصايا حرصه على الذهاب إلى المعبد صباحاً ومساءً لأداء الصلاة، باعتبارها الوسيلة التي يلجأ فيها الإنسان إلى ربه ليشعر بالطمأنينة ويستعيد السكينة في نفسه. وقد اعتبر الحكماء الذين وضعوا التلمود أن الصلاة تحتل أعلى منزلة عند الله مقارنة بالأعمال الصالحة وقرابين العبادة. ومن الجدير بالذكر أنه إلى جانب أوقات الصلاة المفروضة الصباح والعصر والمساء، يمكن لليهودي أن يؤدي الصلاة في أوقات أخرى.

ينصحه الشاعر بأداء الصلاة بخشوع وخضوع، وهذا المعنى يتوافق مع قول الله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)} [سورة المؤمنون: ١-٢] . فالخشوع هو جوهر الصلاة، ويعني التذلل والخضوع الله تعالى، وحضور القلب والعقل في الوقوف بين يديه مع مشاعر الخوف من العقاب والأمل في الثواب، مما يؤدي إلى سكون القلب وطمأنينة النفس وتركيز الإنسان في صلاته بوعي تام.

بعد ذلك، يوصي الشاعر ولده بتطهير قلبه من الشر، وترك كل طريق يؤدي إلى الشر، والتمسك بسلوك الخير. كما يحذره من الاقتراب من النساء، لا سيما الأجنبيات. ويحثه على دراسة التوراة بعناية وتعمق، وأن يسأل معلميه عن أي مسألة يصعب عليه فهمها. ويؤكد على ضرورة احترام معلميه واتباع المنهج العلمي الصحيح في حضورهم، مع تقديم الشكر لهم على جهودهم في تعليمه، لأن هذا أقل ما يمكن أن يقدمه لهم جزاء عملهم العظيم. وينبغي أن يكون شكره ليس فقط بالكلام، بل بالتطبيق العملي من خلال احترامهم وتقديرهم والترحيب بهم وعدم إنكار معروفهم. في هذا الأسلوب يغرس الشاعر في نفس ولده حب خدمة الناس وفضيلة الشكر على المعروف، لما يعده له مستقبلاً من تولي المسؤوليات.

٤. الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أنّ شعر إسماعيل بن النغريلة يشكّل وعاءً تربويا غنيا يحمل بين طياته رؤية أخلاقية واضحة، تنبع من تجربة الشاعر الإنسانية ووعيه بطبيعة السلوك البشري. وقد أظهرت الدراسة أن القيم التربوية المتضمنة في شعره ليست مجرد معانٍ عابرة أو ألفاظ توجيهية، بل هي قيم راسخة ارتبطت بعمق بالتجربة الحياتية التي عاشها، وانعكست في الأبيات بصيغ لغوية وصور فنية تؤكد رسوخ الحكمة في خطابه الشعري.

ومن خلال تحليل الأبيات المختارة، اتضح حضور مجموعة من القيم التربوية الأساسية، مثل قيمة الحكمة، والعمل، والصبر، وضبط النفس، والتواضع، واحترام الآخرين وغيرها من القيم التي تسهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على التفاعل الإيجابي مع الحياة. كما بينت الدراسة أن الشاعر استطاع توظيف الأسلوب الحكمي والنصيحة المباشرة، والصورة الشعرية الدالة، بوصفها وسائل لغرس هذه القيم في المتلقي، مما منح شعره بعدًا تربويا يتجاوز الإمتاع الفني إلى التأثير الوجداني والسلوكي.

ويسهم هذا الربط بين النص الشعري والنظريات التربوية الحديثة كما اعتمدت عليه الدراسة من خلال نظرية شوارنز وليكونا وكولبرج – في الكشف عن أن القيم الواردة في شعر ابن النجريلة تتقاطع مع كثير من المبادئ التربوية المعاصرة، مما يعزز فكرة

أن الشعر يمكن أن يكون مصدرًا من مصادر بناء الوعي الأخلاقي، وأن الأدب الأندلسي يمتلك من العمق التربوي ما يجعله صالحًا للدرس والمقاربة الحديثة.

وعليه، يمكن القول إنّ شعر إسماعيل بن النجريلة لا يمثل مجرد تجربة فنية، بل هو خطاب توجيهي يعكس تصورا تربويا يسعى إلى الارتقاء بأخلاق الإنسان وسلوكه وتأمل الباحث أن تسهم نتائج هذا البحث في فتح المجال لمزيد من الدراسات التي تربط بين الأدب والقيم التربوية، سواء في الشعر الأندلسي أو في غيره من مجالات الأدب العربي، لما لهذا الربط من أهمية في دعم مسار التربية المعاصرة وبناء الإنسان الواعي القادر على الاستفادة من التراث الأدبي بوصفه مصدرًا من مصادر القيم.

٥. المراجع

مالك بن أنس. ١٩٨٥م .*الموطأ* .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مسلم بن الحجاج. ٢٠٠٠م .*صحيح مسلم* .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور. ١٩٩٣م .*لسان العرب* .المجلد ١٢، ص ٤٩٨ (قوم)، المجلد ١٤، ص ٣٠٥ (ربو). بيروت: دار صادر.

الفارابي. د.ت .*ديوان الأدب* .تحقيق: أحمد مختار عمر، وإبراهيم أنيس. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

زرزور، نوال كريم. ١٩٩٠م .*معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم* .بيروت: مكتبة لبنان.

السيد، فؤاد البهي، وعبد الرحمن، سيد. ١٩٩٩م .*علم النفس الاجتماعي: رؤية معاصرة* .القاهرة: دار الفكر العربي.

ابن قتيبة الدينوري. ١٩٩٧م .*عيون الأخبار* .تحقيق: يوسف علي الطويل. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ. ١٩٩٨م .*البيان والتبيين* .تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر.

البوصيري. ٢٠٠٣م .*قصيدة البردة* .القاهرة: دار السلام.

المتنبي. ١٩٩٢م .*ديوان المتنبي* .تحقيق: عبد الواحد وافي. القاهرة: دار المعارف.

شوقي، أحمد. ١٩٨٠م .*ديوان أحمد شوقي* .بيروت: دار العودة.

الكيلاني، نجيب. ١٩٨٥م .*مدخل إلى الأدب الإسلامي* .القاهرة: دار الصحوة.

ضيف، شوقي. ١٩٨٢م .*تاريخ الأدب العربي* .القاهرة: دار المعارف.

إسلام، مصطفى صلاح. ٢٠٢٣م. "القيم التربوية في نصوص مسرح الدمى ."*مجلة كلية التربية الأساسية*، العدد ١٢٠، المجلد ٢٩.

راشد، سعد بن ناصر. ٢٠٢٣م. "القيم التربوية في الأمثال العربية ."*مجلة كلية الآداب*، العدد ٣٤ (٢).

سلام جورنال .٢٠٢٣م. "القيم التربوية في الأدب الإسلامي والعربي ."*سلام: مجلة الدراسات الإسلامية*، المجلد١٠(٢).

مجلة الزهراء .٢٠٢٤م. "القيم التربوية في الأدب الإسلامي ."*الزهراء: مجلة الدراسات الإسلامية والعربية*، المجلد ٢٢ (١).

الغزالي، أبو حامد. ١٩٩٧م .*إحياء علوم الدين* .بيروت: دار المعرفة.

ابن تيمية. ٢٠٠٥م .*مجموع الفتاوى* .الرياض: مكتبة الرشد.

ابن خلدون. ٢٠٠٤م .*مقدمة ابن خلدون* .بيروت: دار الفكر.

قطب، سيد. ١٩٨٠م .*نقد أدبي ودراسات إسلامية* .القاهرة: دار الشروق.

قطب، سيد. ١٩٨٠م .*في ظلال القرآن* .ج١. القاهرة: دار الشروق.

البنا، حسن. ١٩٩٠م .*رسائل الإمام البنا* .القاهرة: دار التوزيع.

الندوي، أبو الحسن. ١٩٩٥م .*الأدب الإسلامي: نظرية وتطبيق* .لكنو: ندوة العلماء.

السيوطي، جلال الدين. ١٩٩٨م .*الإتقان في علوم القرآن* .بيروت: دار الكتب العلمية.

الراغب الأصفهاني. ١٩٩٢م .*مفردات ألفاظ القرآن* .بيروت: دار المعرفة.

ابن كثير. ١٩٩٩م .*تفسير القرآن العظيم* .بيروت: دار المعرفة.

الطبري. ٢٠٠١م .*جامع البيان عن تأويل آي القرآن* .بيروت: دار الكتب العلمية.

القرضاوي، يوسف. ٢٠٠١م .*الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف* .القاهرة: مكتبة وهبة.

الخضيري، عبد الله. ٢٠١٠م .*قيم التربية في الأدب العربي الإسلامي* .القاهرة: دار الفكر العربي.

البنا، محمد. ٢٠١٥م .*قيم وأخلاق التربية في الشعر الإسلامي* .بيروت: دار السلام.

السعيدي، محمد. ٢٠١٧م .*التربية الإسلامية وقيم المجتمع* .الرياض: دار المعرفة.

العجمي، سعيد. ٢٠١٩م .*القيم الأخلاقية في الأدب العربي* .القاهرة: دار الكتب.

العثيمين، محمد. ٢٠١٤م .*شرح رياض الصالحين* .الرياض: مكتبة الرشد.

عبد الحليم، محمد. ٢٠١٠م .*القرآن: ترجمة جديدة* .أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.

عبد الباقي، محمد فؤاد. ١٩٩٦م .*المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* .القاهرة: دار الحديث.

السامرائي، فاضل. ٢٠٠٧م .*أسرار البلاغة في القرآن* .عمان: دار عمار.

الشرقاوي، عبد الرحمن. ٢٠١٢م .*التراث الأدبي الإسلامي وأبعاده التربوية* .القاهرة: دار الكتب.

العطار، محمد. ٢٠٢١م. "القيم التربوية في قصص القرآن ."*مجلة الدراسات الإسلامية*، المجلد ٣٢ (٣).